ديفيد هيرست | نشر في ٢٨ يونيو ٢٠١٧,

لماذا لم يرد اسم حماس في قائمة المطالب السعودية المقدمة إلى قطر؟

تم استبعاد اسم حماس من القائمة السعودية المقدمة إلى قطر. قبل ذلك بأيام قليلة أبرم أحد رجال فتح الأقوياء صفقة مع واحد من قادة حماس – غير أن أحداً من الحركة سواه لم يكن على علم بذلك. والآن تهدد هذه الصفقة بشق الحركة. لوحظ أن اسما واحدا أسقط من قائمة المطالب الثلاثة عشر التي تقدمت بها السعودية إلى قطر ومنحتها مهلة عشرة أيام لتنفيذها.

ما من شك في أن الحركة المقصودة تحظى بحماية قطر. وما من شك أيضا في أنها خرجت من رحم جماعة الإخوان المسلمين، وفي أنها تسعى إلى تدمير دولة إسرائيل. وكانت قد صدرت بحقها مطالبات من قبل وزير الخارجية السعودي عادل الجبير وسفيرة أمريكا في الأمم المتحدة نيكي هيلي على حد سواء بأن يدرج مجلس الأمن الدولي اسمها في قائمة المنظمات الإرهابية. ومع ذلك يبدو أن اسم حماس قد أسقط من قائمة المطالب التي سلمت إلى قطر يوم الجمعة الماضي.

قبل أيام قليلة من الكشف عن هذه القائمة، وقع حدث مثير آخر في القاهرة. محمد دحلان، الخصم اللدود للرئيس الفلسطيني محمود عباس، والرجل الذي يموله ويحميه الإماراتيون، كان موجودا في المدينة لمقابلة رجلين من حركة حماس، أحدهما مسؤول منتخب فيها. أكدت صحيفة الرسالة، وهي مطبوعة تابعة لحركة حماس في قطاع غزة، أن الاجتماع حصل فعلاً ولكنها نفت أن يكون دحلان نفسه قد شارك فيه.

ولكن في الحقيقة لم يقتصر الأمر على وجود دحلان، رجل فتح القوي – والذي حاول تنفيذ انقلاب استباقي على حركة حماس في غزة عام 2007 – ومشاركته في الاجتماع، كما بلغني. بل الأهم من ذلك

أن يحيى السنوار، زعيم حماس الذي انتخب مؤخرا في غزة كان موجودا أيضا.

تقدم دحلان من السنوار بخطة شاملة، كانت خلاصتها على النحو التالي: "تسمحون لي أنتم بالعودة إلى غزة وأنا أتعهد لكم بتخفيف الحظر المفروض عليكم من الجانب المصري من الحدود".

خرجت صحيفة الفجر الموالية للنظام في مصر بتفاصيل إضافية، حيث زعمت أن دحلان سيترأس الحكومة في غزة ويتحكم بالمعابر مع مصر وإسرائيل وكذلك بالشؤون المالية بينما تحتفظ حماس بوزارة الداخلية ويعامل موظفوها على أنهم جزء من الإدارة. قد لا يتحقق شيء من ذلك، ولكن ما كشفت عنه الصحيفة كفيل بأن يسلط الضوء على الأقل على معالم الطريق نحو المستقبل.

ونظرا لأن الحصار المفروض على الجانب المصري من الحدود أعتى وأشد وحشية من ذلك الذي تفرضه إسرائيل نفسها، فما من شك في أن هذا العرض مغر. بل وصل الإغراء إلى الحد الذي دفع السنوار إلى مصافحة يدوية تعبيرا عن الدخول في الصفقة. وخلال أيام قليلة بدأت شاحنات الوقود تعبر الحدود عند نقطة رفح باتجاه غزة. المشكلة الوحيدة في هذا الترتيب الجديد تكمن في أن بقية حركة حماس لم تعلم عنه شيئا.

أربعة أعوام.. واجتماع واحد

معلوم أن السنوار هو زعيم حركة حماس داخل غزة. ولكن، إذا ما أخذنا بالاعتبار أن حماس تتوزع في قطاعات ثلاث هي غزة والضفة الغربية والشتات، فغزة على أهميتها التي تنبع من أنها تشكل دولة الأمر الواقع، إلا أنها مجرد واحدة من ثلاث.

وهذه القطاعات الثلاثة يترأسها مجلس شورى هو الذي ينتخب رئيس المكتب السياسي التنفيذي. الرئيس الحالي لهذا الجهاز التنفيذي هو إسماعيل هنية، والذي حل محل خالد مشعل في الانتخابات التي جرت في الدوحة الشهر الماضي. وهذه هي المرة الأولى في تاريخ الحركة التي يعيش فيها رئيس الجهاز التنفيذي داخل غزة وبذلك تكون تحركاته مقيدة بسبب الحصار. يقال بأن هنية أخبر زملاءه في قيادة الحركة بأنه لم يعلم باجتماع السنوار مع دحلان ناهيك عن أن يكون قد أقر القرار الذي يروى أنه تمخض عنه.

إلا أن هذا الإجراء، وهو الأول الذي يتخذه السنوار بوصفه رئيسا لحركة حماس في قطاع غزة، تسبب في نشوب أزمة غير مسبوقة داخل الحركة ككل، والتي حرصت على مدى عقود في انتهاج سياسة التفكير الملي والحذر في أي خطوات تتخذها، ولم تقطع بشأنها إلا بعد فترات مطولة من التشاور والحوار مع كافة قطاعات الحركة.

بينما استغرق تعديل ميثاق الحركة أربعة أعوام من النقاش الداخلي إلا أن تعديل السياسية التي انتهجتها الحركة على مدى أحد عشر عاما منذ بدء الحصار لم يستغرق من السنوار سوى اجتماع واحد.

وبحسب ما أخبرني به مصدر مطلع فإن "هذا أمر خطير جدا وغير مسبوق بالنسبة للحركة. بل يمكن اعتباره محاولة سافرة لشق حركة حماس، والتي لم تلبث منذ عام 1992، وهو العام الذي انتقلت فيه القيادة الكلية للحركة إلى خارج قطاع غزة، تتخذ قراراتها الاستراتيجية بعد نقاشات جماعية مطولة واستشارات كلية مكثفة".

وأضاف المصدر: "تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة إلى تقليص دور تركيا وقطر في قطاع غزة. بل يريد دحلان ومعه الإمارات توجيه ضربة قاصمة إلى المحور القطري التركي وشق حركة حماس".

مغازلة ترامب

ما من شك في أن العرض الذي تقدم به دحلان إلى حماس لتخفيف الحصار سام ومغر في نفس

الوقت. وكان طوني بلير قد تقدم من قبل بعرض مشابه إلى خالد مشعل ضمن سلسلة من المحادثات التي جرت بين الرجلين وكنت أول من كشف النقاب عنها. عرض بلير على مشعل رفع الحصار مقابل اتفاق هدنة. إلا أن المحادثات فشلت لأنها لام تحظ بتأييد لا إسرائيل ولا مصر. إلا أن مشعل كان حذرا من مقايضة ما تعتبره حماس حقا في مقاومة الاحتلال بشحنة من المعكرونة والشوكولاتة.

ولكن، بالمقارنة، تعتبر الأحوال في غزة هذه المرة أسوأ بكثير مما كانت عليه من قبل. ففي ظل التهديدات التي وجهها ترامب، طلب عباس من إسرائيل تقليص التيار الكهربائي الذي تزود به قطاع غزة من ست ساعات إلى ساعتين في اليوم (وذلك أن السلطة الفلسطينية وليس إسرائيل هي التي تدفع تكلفة الكهرباء التي يزود بها القطاع). هذا الإجراء، بالإضافة إلى قراره قطع رواتب موظفي السلطة في غزة، بما في ذلك مخصصات معتقلي فتح في السجون الإسرائيلية، تسبب في إلحاق أضرار جسيمة بشعبية عباس وما يحظى به من تأييد.

عندما رفع أحد أنصار عباس صورة له داخل ساحات المسجد الأقصى في يوم عيد الفطر، انقضت عليه الجماهير ومزقت الصورة وهي تهتف "خائن، خائن". ربما شعر عباس بأنه لم يعد أمامه من خيار آخر، وذلك في خضم التنافس المحموم والفتاك لكسب ود ترامب بين عباس وخصمه ومنافسه الرئيسي محمد دحلان.

سبق أن جرب دحلان في إحدى المرات العودة إلى فلسطين عبر محاولة إجراء مصالحة مع عباس، إلا أن الزعيم الفلسطيني رفض ذلك وأقصى مؤيدي دحلان من اللجنة المركزية لحركة فتح. والآن يحاول دحلان الدخول من خلال طريق جديد، هذه المرة عبر غزة وحماس.

تضافرت مجموعة من الأحداث والظروف على تهيئة الأجواء التي عقد فيها اللقاء مع السنوار، وعلى رأسها ذلك البيان الذي ألقاه ترامب أمام خمسين من زعماء العرب والمسلمين في الرياض والذي أعلن فيه أن حركة حماس منظمة إرهابية، بالإضافة إلى العداوة المعلنة تجاه حركة حماس من قبل الأنظمة العربية، ثم محاولة دحلان الأخيرة لشراء تأشيرة دخول إلى قطاع غزة من حركة حماس.

حلقة غزة

حتى هذه اللحظة، يوفر عباس ودحلان، كلاهما، خدمة للمصالح السعودية والإماراتية والتي ترغب في رؤية حماس تتراجع ويتضاءل حجمها ورؤية النفوذ القطري في غزة يتآكل. من المعلوم أن قطر هي أكبر متبرع دولي لقطاع غزة، حيث تعهدت بمبلغ 1.3 مليار دولار لإعادة الإعمار. وتدفع قطر بشكل مباشر للعمال في مواقع البناء. في ظل معدل بطالة يصل إلى 40 بالمائة فإن تلك الأموال وتلك الوظائف هي اللعبة الوحيدة في المدينة.

لا غرو في أن الحصار المفروض على دولة قطر مرتبط في نهاية المطاف بالحصار المفروض على قطاع غزة. يذكر أنه حتى ساعة اللقاء الذي جرى في القاهرة، كانت حماس، كحركة، تنتهج أسلوبا يعتمد ضرب طرفي حركة فتح المتنافسين بعضهما ببعض.

فبطلب من عباس، سمحت حماس لمئات من أعضاء حركة فتح في قطاع غزة بالسفر إلى الضفة الغربية حتى يتمكنوا من التصويت لمرشحي عباس لانتخابات اللجنة المركزية لحركة فتح. وكان المقصود من هذه العملية هو إقصاء دحلان ومؤيديه من السلطة وإبقاؤهم بعيدا عن الضفة الغربية.

في نفس الوقت أرسلت حماس مندوبين لها للمشاركة في اجتماعات القاهرة التي قربتهم أكثر فأكثر من دحلان، الذي يعتبر، وتؤيده في ذلك مصر، أن هذه استراتيجية ناجعة. بالنسبة لحماس، تعتبر الدروس المستخلصة من الصراع على النفوذ في الخليج ومن الخلاف داخل حركة فتح غاية في المرارة.

لقد قامت حماس بالفعل باستبدال ميثاقها الأصلي بوثيقة تعترف بحدود إسرائيل لعام 1967. وما

فعلت الحركة ذلك إلا لتسهل على جميع الفصائل الفلسطينية تبني موقف مشترك، وكذلك أيضا لتساعد الدول العربية التي كانت تسعى جاهدة لإنعاش المبادرة العربية للسلام. فماذا كان الرد السعودي على مبادرة قصد منها "تطرية" الموقف التفاوضي؟ إعلان حماس منظمة إرهابية.

وكم يشبه ذلك ما حصل لحركة فتح عبر تاريخها. لقد طُلب من الحركة تقديم التنازل تلو الآخر، ولم يحصلوا في المقابل على شيء، وما جنوه جراء ذلك هو أنهم فقدوا ما كانوا يتمتعون به من تأييد، وتحول بشكل عام إلى حماس. فإذا ما بدأت حماس بفقد ما لديها من رصيد شعبي كما حصل مع فتح من قبل، فلن يعود هؤلاء المؤيدون إلى فتح، وإنما سينضمون إلى صفوف الجماعات التكفيرية مثل تنظيم الدولة الإسلامية.

خرج السنوار بعد ما يقرب من عشرين عاما في الاعتقال لدى الإسرائيليين بسمعة أنه عسكري متشدد. وكان قد أفرج عنه كجزء من عملية التبادل مع الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليت.

لعل الانجذاب نحو التفاوض معه يشبه إلى حد بعيد ما شعر به البريطانيون حينما فتحوا بابا للحوار مع مايكل كولينز، زعيم الجيش الجمهوري الإيرلندي والبطل الثوري في حرب التحرير الإيرلندية. إلا أن كولنز سرعان ما تحول إلى ذلك الرجل الذي أعطى الأوامر بفتح النار على المحاكم الأربعة في إيرلندا بقذائف المدفعية مستهدفا رجاله السابقين الذين شكلوا الجيش الجمهوري الإيرلندي المعارض للمعاهدة مع البريطانيين، فكانت تلك هي الشرارة التي أطلقت الحرب الأهلية الإيرلندية.

هل يرغب السنوار في أن يكون ذلك الشخص الذي يسير على خطا كولنز أم الشخص الذي يسير على خطى محمود عباس؟.

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال: https://www.noonpost.com/18625/